مكية الجزء الثلاثون سورة الانفطار آياتها ١٩

سُورَةُ الانفِطَارِ، مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أَيْ: تشققت، وتفطرت، وتصدعت، وهذا يكون يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ أَيْ: الكواكب، والنجوم، تصير منتشرة متفرقة بعد اجتماعها، وبعد سيرها على الوجه الذي شرعه الله لها كونًا.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أَيْ: ذهب ماؤها؛ بسبب ما سعرت به من النيران كما تقدم.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ خرج ما فيها من المدفونيين المقبورين، بعثرتهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات:٩]، خرجوا من قبورهم بعد أن كانوا قد وُرُوا في التراب، يقول فإذا بعثرت القبور وخرج من فيها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ علمت كل نفس مكلفة ما قدمت من خير أو شر، وما أخرت من ذلك، كما تقدم: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ﴾ [آل عمران:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ نداء إلى جميع المكلفين ﴿مَا غَرَّكَ﴾ من الذي جعلك تغتر وسوَّل لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك وأمنت مكر الله عَزَّوَجَلَّ كما قال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩].

﴿بِرَبِّكَ﴾ بخالقك ورازقك ومدبرك ﴿الْكَرِيمِ﴾ العظيم، وهذا على التهديد، كما يقول

المثل: أحذر من الكريم إذا أهنته؛ فإنه ينتقم انتقامًا لا عفو بعده؛ لأن الكريم يعفو، ويصفح، ويتجاوز، ويعطي، ثم إذا رأى من هذا المُكرَم النفور، علمه ليس أهلًا للكرامة، فعند ذلك يقلوه ويتركه.

ثم عرَّف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ أي: أوجدك من العدم ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ على أحسن صورة كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]، ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قَوَّمَك في أحسن صورة، وهيئة، وأحسن حال، وهذا لم يقع لغير الإنسان ممن هم في الأرض، الشياطين صورهم سيئة والحيوانان كلٌّ على صورة، والإنسان خلقه الله على أحسن صوره يغطي عورته، ويسرح لحيته، ويمشط شعره، ويزيل درنه، إلى غير ذلك مما هو عليه.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ﴾ في أي هيئة ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء جعلك أحمرًا، أو أبيضًا، أو أسودًا، طويلًا، أو قصيرًا، ذكرًا، أو أنثى، فإنه لا يخرج عن مشيئة الله، وإرادة الله الكونية شيء، فالأمر أمره.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ حقًا أيها المشركون أن الذي يحملكم على الاغترار والتمادي في المعاصي ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ أنكم تكذبون بيوم القيامة، يوم الجزاء، وتكذيبهم له؛ إما بعدم تصديقهم الخبر الدال على وقوعه، وإما بعدم الانقياد لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، فإن هذا يلزم منه تكذيب يوم الدين، والجزاء، وإلا لو كان الإنسان يعلم أنه مبعوث بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ مُجازى بأعماله فسيبادر للعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ أَيْ: من الملائكة يحفظون أعمالكم، كما أنه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٨]، كما أنهم يحفظون الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من أمر الله، فأحيانًا تمشي في طريق تكاد أن تتعثر على وجهك، وإذا بك تُحفظ، فإذا جاء القدر حيل بينك وبين هذه الحفظة، فتسقط وتقع، والمعنى الأول أظهر، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ أَيْ: أصحاب كرامة في جمال وجوههم، ونبيل أخلاقهم بخلاف الشياطين، فالملَك إذا عصيت الله عَزَّوَجَلَّ تنحى عنك، والشيطان تستعيذ بالله منه وهو جاثم على قلبك؛ لأنه لئيم حقير.

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ يعلمون أفعالكم ويسطرونها عليكم.

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

ثم أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحال الناس في الآخرة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ أَيْ: المؤمنون الموحدون الذين لزموا البر في أقوالهم وأفعالهم ﴿ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ يوم القيامة، وهي جنة عدن يتنعمون بأنواع النعم من المآكل، والمشارب، والزوجات، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد:١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة:٢٥].

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ الكفار سمو بذلك لفجورهم بمخالفة أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ في عذاب أليم يوم القيامة.

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ تُحرق أجسادهم، وتُذهب بهائها، وتُنغص حياتهم، كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤١]، وقال: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾ [النساء:٥٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج:١٩-٢٢]، أسأل الله السلامة.

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ لا يغيبون عنها ولا تغيب عنهم ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج:٢٢].

ثم قال معظمًا لشأن يوم القيامة: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي: ما أدراك ما يوم القيامة، ما أدراك ما يوم الجزاء.

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ تأكيدًا لهذا التعظيم ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ أَيْ: لا يملك الأب للابن، والزوجة للزوج، والصاحب للصاحب نفعًا ولا ضرًا، بل إن نفسك لا تملك لنفسك شيئًا، فلا تستطيع أن تقدم أو تأخر إلا ما كان قد قدمته في الحياة، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ [المدثر:٣٨].

﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ لقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ [الروم:٤]، يكرم المؤمنين بالجنة، ويهين الكافرين بالنار ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

والحمد لله رب العالمين.